

الباحث/ مبارك محمد مبارك الساعدي*

*مدرس مساعد في جامعة الشرقية

الملخص

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج هي:

- 1- كان للأعراب دور في العودة إلى العصبية الجاهلية.
- 2- أدى كثير من حكام بني أمية وولاتهم دوراً بارزاً في إشعال نار العصبية الجاهلية، مما أثر في ظهور الهجاء السياسي.
- 3- ساعد تحريش الحكام بين الشعراء إلى ازدهار الهجاء السياسي وتطوره.
- 4- كثرة الحروب والثورات أدت إلى ظهور التعصب للأقاليم في الشعر السياسي.
- 5- هجاء الشعراء للحكام الولاة نتيجة لمساحة الحرية التي منحوها للشعراء.
- 6- تأثر الشعراء في هجائهم للحكام والولاة بالروح الإسلامية في شعرهم.
- 7- عمل الهجاء السياسي على نقد السياسة، وفضح المفاسد.

الكلمات المفتاحية: الهجاء السياسي - الشخصية - القبلية - الإسلامية.

سعى هذا البحث إلى دراسة نمو الهجاء السياسي وتطوره في العصر الأموي، وهناك عوامل عدة أدت إلى ازهار الشعر السياسي وظهوره لأول مرة في العصر الأموي، وفي ذروة سنام هذا الشعر الهجاء السياسي، وهو موضوع جدير بالدرس والتحليل، واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يُعنى باستقراء المادة وجمعها، وتحليلها وتوصيف الظاهرة بهدف الوصول إلى النتائج المرجوة من البحث التي كان من أبرزها: دور الحكام في إشعال نار الهجاء بين الشعراء، ودورهم أيضاً في تأجيج جذوة العصبية القبلية، واتساع آثار الهجاء السياسي لتشمل التعصب للأقاليم، وتأثر الشعراء في هجائهم الحكام والولاة بالروح الإسلامية في شعرهم.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، ومبحثين، تناولت في المبحث الأول تأثير الهجاء السياسي بالبيئة الجاهلية، فدرسته من خلال العصبية الشخصية والقبلية، والعصبية الإقليمية، وخصصت المبحث الثاني لدراسة تأثير الهجاء السياسي بالبيئة الإسلامية، وقد تجلّت مظاهر هذا التأثير في هجاء الشعراء للحكام والولاة.

The growth of political satire and its development in the Umayyad era.

MUBARAK MOHAMMED MUBARAK ALSAADI

Abstract:

This research aims to study the growth and development of political satire in the Umayyad era. Several factors led to the flourishing of political poetry and its first appearance during the Umayyad era. At the pinnacle of this poetry was political satire, a subject worthy of study and analysis. The research adopted a descriptive-analytical approach, which involves collecting, analyzing and describing the phenomenon to reach the desired results. Among the most prominent findings were: the role of rulers in escalating the flames of satire among poets; their role in fueling tribalism; the expansion of the effects of political satire to include prejudice for regionalism; and the poets have been influenced by Islamic spirit in their satire on rulers and governors. The research is divided into an introduction and two sections. The first section examines the influence of the pre-Islamic environment on political satire, studying it through the lens of personal, tribal and regional bias. The second section focuses on the impact of the Islamic environment on political satire,

as clearly shown in the satire directed by poets to rulers and governors.

The research yielded the following findings:

- 1- The Bedouins played a role in the resurgence of pre-Islamic tribalism.
- 2- Many Umayyad rulers and their governors played a prominent role in fanning the flames of pre-Islamic tribalism, which contributed to the emergence of political satire.
- 3- The rulers' incitement of rivalry among poets contributed to the flourishing and development of political satire.
- 4- The prevalence of wars and revolutions led to the emergence of regionalism in political poetry.
- 5- Poets satirized governors as a result of the freedom they granted to poets.
- 6- Poets were influenced by the Islamic spirit in their poetry when satirizing rulers and governors.
- 7- Political satire served to critique politics and expose corruption.

Keywords: satire Political, personality, tribal, Islamic

المقدمة:

أطلت العصبية القبلية برأسها في العصر الأموي، وقد اختفت في عصر صدر الإسلام، وكذلك كثرت الأحزاب السياسية في هذا العصر، وكلها أحزاب مناوئة لبني أمية، وكان لبني أمية حزب يؤيد سياستهم، وهذا كله أدى إلى ظهور الشعر السياسي لأول مرة في العصر الأموي، وكان الهجاء السياسي ركناً رئيساً في هذا الشعر، وقد اتسعت مساحته الجغرافية فعمّ البلاد، وكثر شعراؤه، وتوعدت نماذجه وتعددت، مما جعله عرضاً شعرياً جديراً بالدرس والتحليل.

وتكمن أهمية البحث في دراسة موضوع قديم نما وتطور في العصر الأموي، ولم يقف التطور عند ظهور هذا اللون غير المهود في تراثنا فحسب، بل تعدى الأمر ذلك فظهر فن النقائض الذي يعتبر سابقة في تاريخ العرب الشعري، وقد أدت إلى ظهوره عوامل سياسية، وتكمن أهمية البحث أيضاً في دراسة هجاء الشعراء للحكام والولاة نتيجة لمساحة الحرية التي منحوها للشعراء، والغفو عن التائب منهم.

ويهدف البحث إلى بيان أثر العصبية الشخصية والقبلية في الهجاء السياسي، ودراسة العصبية الإقليمية في الهجاء السياسي، والكشف عن تمثل البيئتين الإسلامية في هجاء الحكام والولاة.

ويجيب البحث عن مجموعة من التساؤلات، أهمها: أثر العصبية الشخصية والقبلية في الهجاء السياسي؟ إلى أي مدى كان للإقليم دور في عصبية الشعراء له؟ كيف تمثل الشعراء البيئتين الإسلامية في هجاء الحكام والولاة؟

أما الدراسات السابقة، فأبرزها:

1- الهجاء من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، نظرة في طبيعة الفن وتراوحه بين القبلية والإسلام والسياسة، محمد بن عبد العزيز الخويطر، حولية اللغة العربية بالزقازيق، مج 1، ع 33، جامعة الأزهر، مصر، 2013.

تناول البحث مهاداً نظرياً طويلاً عن الحد الفني للهجاء، ونشأته ومكانته، ثم قسم الباحث بحثه إلى ثلاثة محاور، المحور الأول: الهجاء في الجاهلية وسيطرة المفهوم القبلي، وكشف عن الروح الإسلامية التي سيطرت على الهجاء في صدر الإسلام في المبحث الثاني، وخصص المبحث الثالث للهجاء في العصر الأموي، وتوقف عند أثر الأحزاب السياسية والعصبية في شعر الهجاء، وكانت نماذجه من النقائض، ولم يقف بالدرس والتحليل عند أثر البيئتين الجاهلية في الهجاء السياسي في العصر الأموي، وكذلك لم يتوقف عند تأثير البيئتين الإسلامية في الهجاء السياسي في هذا العصر، وهاتان الظاهرتان هما مجال بحثي.

2- دور الشعر السياسي في تشكيل الوعي السياسي في العصر الأموي، فاطمة فرض الله أيوب بوران فكر، مجلة الباحث، مج 3، ع 44، العراق، 2025.

عرض البحث دور الشعر السياسي في الحراك السياسي والاجتماعي خلال العصر الأموي، وركز على شعر المديح والهجاء، ودورهما في التأثير في الفكر العام، وتوجيه المجتمع إلى قضايا سياسية مهمة، فبينت الباحثة نجاح الشعراء في توصيل الرسائل السياسية عبر التلميح والرمزية، وكشفت أيضاً عن تعزيز الهوية القبلية في بعض النماذج، وهذا البحث إن كان يتقاطع مع بحثي في تناول الهجاء السياسي، إلا إنه يختلف عنه في الطرح والتناول واختلاف النماذج.

3- تشكلات البعد السيميائي في الشعر السياسي القديم، إبراهيم إسماعيل علي إسماعيل، مجلة الدراسات العربية، مج3، ع51، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر، 2025.

درس الباحث الشعر السياسي في العصر الأموي فقط دون غيره من العصور، وكانت عينة الدراسة شعر النقائض بين الثالوث (جرير- الفرزدق- الأخطل) من خلال ثنائية البناء والهدم التي اتسمت بأبعاد سيميائية على مستوى البنية العميقة، وقد حلل الباحث العلامات السيميائية لتلك الثنائية من خلال الصورة، والتشاكل والتباين، والتناص، وكان هدف الشعراء إعلاء حجتهم السياسية، وإبراز علاقات البناء لحزبهم، والهدم للأحزاب الأخرى، وهذه الدراسة لا تتقاطع مع دراستي، فهي بعيدة عنها في الموضوع والمنهج، فالدراسة السيميائية ليست مجال بحثي.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على القراءة التحليلية للنصوص الشعرية للهجاء السياسي في العصر الأموي، ذلك المنهج الذي يهتم بالاستقراء وجمع المعلومات، وتوصيف الظواهر، ثم تحليل هذه المعلومات بغية الوصول إلى النتائج المرجوة من البحث.

وأما التحديات والصعوبات التي واجهتني، فأبرزها اتساع المساحة الجغرافية لشعر الهجاء في العصر الأموي الذي يكاد لا يترك قطراً إلّا وأثر فيه، وكذلك من أبرز الصعوبات اتساع المادة العلمية لهذا النوع من الشعر، فقد توزعت هذا المادة بين دواوين الشعراء، وكتب اللغة والأدب، وكتب التاريخ والموسوعات، وغيرها من المصادر.

توطئة

لقد كان للسياسة الأموية وطبيعة العصر الأموي، الأثر الواضح في ازدهار فن الهجاء، وظهور لون آخر من الهجاء هو شعر النقائض، حيث إن سياسة بني أمية في تفضيل قبيلة على أخرى، وتعين أمراء من قبائل معينة دون أخرى زاد من نار العصبية القبلية وساعد على ظهور فن النقائض، كما أن تكتل القبائل في البصرة والكوفة ووجود الأسواق العربية بهما بعد أن تحولت من عكاظ وغيره إلى المدن الجديدة، كان له الأثر الواضح في ذلك.

والهجاء قديم في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، وأوجدته المنافسات القبلية على مياه الغدران والمراعي، وأوجدته الحروب المستمرة بين القبائل، وفي عصر رسول الله ﷺ نهي عنه وحُذر منه، فأخذ منحى آخر وهو الهجاء بالكفر والإيمان.

أما في عصر بني أمية فقد "استقرت القبائل في مدينتي البصرة والكوفة وعادت العصبية جذعة وكانت القبائل تجتمع وتحشد في المرید والكناسة حول الشعراء، فيسمعون منهم إلى ما ينشدونه في الهجاء، وكأنهم وجدوا في ذلك لهواً وتسليية، وباستقرار القبائل في البصرة والكوفة تحول الهجاء من فن منقطع إلى فن دائم ومستمر، فوجد الناس بذلك الفرجة والتسليية وقطع الفراغ"⁽¹⁾. ومن التغيرات التي حدثت لفن الهجاء في هذا العصر "تحول الهجاء من انتقام وتشفي وإرضاء لقبيلة إلى رغبة في إعجاب الجماهير من الخصوم وغير الخصوم، فأصبح حرفة أو مهنة، فالشاعر يريد به أن يتفوق على خصمه عند الجماهير المحتشدة في المرید والكناسة، ولم يعد كل همه أن يرض قبيلته، بل لعله لم يعد يفكر فيها، إلا باعتبارها جزءاً من الجماهير المجتمعة حوله"⁽²⁾. إن السياسة الأموية كان لها الأثر الواضح في تطور الهجاء إلى نقائص، فقد كانت السياسة زمن النبي عليه الصلاة والسلام وزمن الخلفاء الراشدين تقوم على التمسك بالدين والنهي عن قذف وسب الآخرين، إلا بما يدافع به المسلم أمام الكفار والذود عن الدين الحنيف، وظهر ذلك جلياً عندما أنكر الخلفاء التهاجي وعاقبوا شعراء الهجاء كما فعل عمر وعثمان رضي الله عنهما⁽³⁾. وسوف ندرس الهجاء السياسي في عصر بني أمية من خلال مبحثين: المبحث الأول: تأثر الهجاء السياسي بالبيئة الجاهلية، والمبحث الثاني: تأثر الهجاء السياسي بالبيئة الإسلامية.

(1) ضيف، شوقي، التطوير والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1997م، ص163

(2) ضيف، شوقي، التطوير والتجديد، مرجع سابق، ص165

(3) ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (356هـ) الأغاني، تح: عبدالستار أحمد، دار التونسية للنشر، تونس، 1983م،

المبحث الأول: تأثير الهجاء السياسي بالبيئة الجاهلية

عاش العرب في جاهليتهم على النظام القبلي، لا يعرفون لهم رابطة إلا العصبية القبلية، فلما جاء الإسلام دعاهم إلى رابطة جديدة هي رابطة الدين، ونشأ جيل من الصحابة رضي الله عنهم، يمثلون الدين في سلوكهم وتفكيرهم خير تمثيل، بينما ظل الأعراب مما دخلوا في الإسلام قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم، وبعد فتح مكة - وهم كثرة العرب- على ما نشئوا عليه من قيم، وما درجوا فيه من عصبية قبلية، ولم ينسوا وطنهم الصغير، ليتفانوا في الوطن الكبير، والاتحاد الجديد. ووجد وهؤلاء الأعراب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الزكاة إتاوة تفرضها قريش على القبائل، ووجدوا أيضاً أن قريش لم تفضل القبائل إلا بالنبوة؛ فظهر فيهم المتبئون، وبدأت العصبية تشرتب بعنقها زمن عثمان رضي الله عنه، واشتعلت نارها بمقتله، فظهرت الفتنة الكبرى في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وضربت بجذور عميقة في عمق دولة بني أمية⁽¹⁾، وكان لهذه العصبية القبلية تأثير على الهجاء السياسي في العصر الأموي، وقد تجلّى ذلك في مظهرين، الأول: العصبية الشخصية والقبلية، والثاني: العصبية الإقليمية.

أولاً: العصبية الشخصية والقبلية

إن الشاعر في عصر بني أمية كان يتعصب للقبيلة، وفي الوقت نفسه لا يغفل ذاته التي يحاول أن ينتصر لها، وينال من الشاعر الهاجي، وقد كان لأمرء الدول إسهام فعال في إذكاء نار العصبية بين الشعراء، فقد قربوا الشعراء وخاصة شعراء الهجاء وأغدقوا عليهم بالمال وقربوهم من مجلس الخليفة، وسلوكوا في سياستهم الترغيب والترهيب، ووجدوا في ذلك أنصاراً وشعراء كثر⁽²⁾. و"لما كان الأنصار والعدنانيون حجازيين في سياستهم حاول الأمويون بالشام أن يضموا إلى جانبهم اليمنية فأصهر معاوية إلى بني كلب الحميريين من اليمن بأن تزوج ميسون بنت بحدل الكلبي أم يزيد ابنه، كما تزوج منهم قبل ذلك عثمان بنائلة بنت الفرافصة، وبذلك ضمن البيت السفنياني الأموي معاوية الكلبيين فنصروه في معركة مرج راهط على القيسية، وكان لحسان بن يزيد بن بحدل خال يزيد طمع في الخلافة ولكنه انصرف عنها، وكانت نتيجة هذه الخطوة مناقضة بين قيس واليمن في سبيل السلطان الأموي"⁽³⁾.

لقد انتقى حكام بني أمية من الولاة القواد المخلصين لهم والمدافعين عنهم "منهم عمرو بن العاص صاحب مصر، وزياد بن أبي سفيان الذي استخلفه معاوية وولاه العراق، فأخضعه لسلطان الأمويين، وعبيد الله بن زياد الذي قتل في عهده الحسين، والمغيرة بن شعبة الذي ساعد في البيعة ليزيد بن معاوية،

(1) ينظر: حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص 7-15.

(2) ينظر: الشايب، أحمد، الشعر السياسي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1978م، ص 204.

(3) الشايب، أحمد، تاريخ النقائص في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1954، ص 179.

وكان الحجاج لعبد الملك كزياد معاوية، كما كان بشر بن مروان داعية الأمويين يؤلف حولهم القبائل والشعراء، ونذكر بمناسبة هؤلاء الحارث بن أبي ربيعة المخزومي أخا عمر بن أبي ربيعة، فقد تولى البصرة لابن الزبير مرتين، وهدم داري جرير والفرزدق⁽¹⁾.

سعى الأمويون إلى إذكاء نار العصبية القبلية لإشغال الناس والقبائل عن نظام الحكم - حتى ثارت معارك بين القبائل - وإسكات صوت المعارضة، وتوطيد مركزهم وتثبيت أقدامهم، فكانت سبباً في تطور فن الهجاء، وأول من وضع هذا النظام وسعى إليه هو معاوية بن أبي سفيان "فقد انحاز إلى القبائل اليمنية في الشام، وهم أكثر أنصاره، وظل يؤثرها بالعطاء حقبة طويلة ولا يفرض عطاء لسواها، حتى عزت اليمن بالشام في عهده، وتناولوا على مضر وهددوا بإخراجهم من الشام، وحينئذ تحركت في معاوية عصبية المضرية، ففرض عطاءً لأربعة آلاف رجل من قيس دفعة واحدة، ثم خطا خطوة أخرى فجعل يغري اليمن في البحر وقيساً في البرعاية لها، فاسخط بصنيعه هذا اليمنية، وعبر أحد شعرائهم من هذا السخط بأبيات منها: [البحر الطويل]

أترك قيساً آمين بدارهم ونركب ظهر البحر والبحر زاخر⁽²⁾

وسار مجموعة من الخلفاء على هذا المنوال، فقد قرب يزيد بن عبد الملك القبائل القيسية، وقرب هشام بن عبد الملك القبائل اليمانية، كما وقف الوليد بن يزيد موقف التأييد الصريح للقيسية أصحاب أبيه، وقد نسبت إلى الوليد قصيدة يفخر فيها بالعدنانية وينال من اليمانية، ويسخر منهم، وعندما بويع مروان بن محمد بالخلافة اعتمد على القيسية⁽³⁾.

وفيما يخص الشعر والشعراء، فقد حاول خلفاء بني أمية جهدهم في إذكاء الصراع بين الشعراء وقبائلهم، فإن "معاوية دس إلى كعب بن جعيل وأمره بهجاء الأنصار، فدلّه على الأخطل، وقال معاوية للأنصار الذين ثاروا بسبب هجاء الأخطل: لكم لسانه إلا أن يكون ابني يزيد قد أجاره، ودس إلى يزيد من وقته إنني قد قلت للقوم: كيت وكيت فأجره"⁽⁴⁾.

فهذا المشهد يدلنا كيف كان الخلفاء يسعون في إذكاء نار الحقد والعصبية بين القبائل، وبين الأشخاص، وهذا الأمر ظهر جلياً منذ نشأة دولة بني أمية، فقد رسم معاوية هذا النهج ليكون من خلفه تابعين لهذه السياسة.

(1) المرجع السابق، ص 183

(2) النص، إحسان، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار الفكر، القاهرة، 1973م، ص 258

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 260

(4) الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، 120/15

وروى الأصفهاني في أغانيه: "أن ابن زياد أغرى بين المنذر بن الجارود العبدى وعبدالله بن خازم السلمى، وأنه قال لحارثة بن بدر: أجبه "أي لأنس بن زنيم فاستغفاه لمودة كانت بينهما، فأكرهه على ذلك، وأقسم عليه ليحببته، فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عبید الله بن زياد زماناً ووقع بينهما شر.

فكتب أنس إلى عبید الله: [البحر الطويل]

ألم ترني خُيرتُ والأمر واقعٌ ... فما كنت لما قلت بالمتخير

فأمسكت عن سلمٍ عناني وصُحبي ... ليعرفَ وجهَ العذر قبل التعذر

فرد عليه حارثة بن بدر بأمر عبید الله بن زياد: [البحر الطويل]

ألكني إلى من قال هذا وقل له ... كذبتَ فما إن أنتَ بالمتخير

وأنتَ لو صاحبتَ سلمًا وجدته ... كمهدك عهد السوء لم يتغير⁽¹⁾.

ومن ملوك بني أمية عبد الملك بن مروان الذي كان راوياً للشعر ناقداً له، كثير الاستشهاد به

في كثير من المناسبات، يكثر الأسئلة والمحاوره منه في مجلسه، فضلاً عن اهتمامه بمعانيه، كما كان يعلم خطورته في التأثير في كسب الأنصار والهجوم على خصومه، لذلك اهتم بالشعراء اهتماماً كبيراً ووظفهم لمدحه ودولته وبني أمية، ولم يبخل عليهم بالاعطاء.⁽²⁾

ويروى أن مجلس عبد الملك ضم جريراً والفرزدق والأخطل، وأحضر عبد الملك كيساً فيه خمسمائة دينار، وقال لهم، ليقبل كل منكم بيتاً في مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فقال الفرزدق: [البحر الوافر]

أنا القطران والشعراء جري وفي القطران للجري شفاء

قال الأخطل: [البحر الوافر]

فإن تك زقاً زاملة فإني أنا الطاعون ليس له دواء

قال جرير: [البحر الوافر]

أنا الموت الذي آتى عليكم فليس هاربٍ مني نجا

فريح جرير الرهان⁽³⁾.

فهذا الخبر يصور لنا كيف كان خلفاء بني أمية يقربون منهم الشعراء ويكرمونهم بإعطائهم المال وقبل ذلك يقربونهم من مجالسهم.

(1) الأصفهاني، الأغاني، مرجع السابق، 2/33 - ينظر: الشايب، تاريخ النقائض، مرجع سابق، ص295

(2) الصلابي، علي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار اليقين، مصر، 2006م، 1/899

(3) ينظر: جمعة، محمد إبراهيم، نوابغ الفكر العربي (جرير)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1995م، ص25

ومن الأخبار التي تروى عن عبد الملك وسياسته في التحريش بين الشعراء، أنه قال للأخطل عن جرير: هذا سبك، فأقبل جرير عليه فقال: أين تركت خنازير أمك؟ قال: راعية مع أعيار أبيك.⁽¹⁾ كان الأخطل شاعر بني أمية، وكان الشعراء يتجنبون هجاءه، إلا بعد الإذن من عبد الملك، فقد استأذن جرير عبد الملك في هجاء الأخطل فقال: ائذن لي في ابن النصرانية، فقال عبد الملك: لا يجوز أن يكون ذلك في حضرتي.⁽²⁾

كان لهذه السياسة شر ووبال على بعض القبائل، فقد نشبت بينها صراعات ومعارك، يذكر أبو الفرج الأصفهاني عن يوم الكحيل الذي كان بين قيس وتغلب، وأن الدم كان في دجلة قريباً من رمية سهم، وأن فرسان قيس أغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلوهم، وبقروا من النساء من كانت حاملاً، ومن كانت غير حامل قتلوها.⁽³⁾

وكان هذا اليوم "نتيجة لإثارة الأخطل التغلبي شاعر عبد الملك للجحاف القيسي في بلاط عبد الملك، لما قال له في إطار قصيدة مدحية: [البحر الطويل]

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر... بقتلى أحييت من سليم وعامر
أجحاف إن فُبط عليك فتلتقي... عليك بحور طاميات الزواجر

مما دفع إلى الوثوب، وكان تعليق عبد الملك تعليق العارف والراغب؛ إذ أنه لم يعمل على منع الكارثة رغم أنه قال: ما أحسبك إلا قد أكسبت قومك شراً، غير إنه بعد أن تحقق له ما كان يريد من تعادل لميزان القوى بين الفيئتين المتصارعتين تحرك، إذ أن انتصار قيس وضع حداً لتحكم تغلب واليمن به وسياسته، وأتاح له التحرك بحرية باتجاه تحول سياسة الدولة، فأمن الجحاف، وأحكم الصلح، ودفع الحجاج الدييات ممثل قيس في التحالف الجديد الذي صارت تستند إليه الخلافة الأموية، وفي هذه الفترة بالذات، بدأ الأخطل يشكو من جنوح نجمه"⁽⁴⁾.

ومن أعمال عبد الملك التحريشية، أنهم ذكروا أن عياش بن الزبير قد دخل عليه يوماً وعنده روح بن زنباع، فقال عبد الملك: يا عياش أما ترى هذا اليماني يفخر عليك بملوك اليمن؟ فما لبث أن لجج التفاخر بين الرجلين وتعصب كل منهما لقومه، وحرش مرة بين كثير بن هراسة الكلابي والحجاج بن يوسف الثقفي.⁽⁵⁾

(1) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، 306/8

(2) ينظر: المصدر سابق، 63/8

(3) ينظر: المصدر السابق نفسه، 199/12

(4) الأصفهاني، المرجع السابق، 201/12

(5) النص، العصبية القبلية، مرجع سابق، ص 263

سار بشر بن مروان على خطى بني أمية في التحريش بين الشعراء والقبائل، فقد اختارته الدولة الأموية ليكون والياً على العراق، وكان من بين مهامه إذكاء نار العداوة والخصومة بين الشعراء، وشغل الناس بهذا الشعر وصرّفهم من الحديث بسياسة الدولة، " فقد قام بشر بن مروان بجمع الشعراء والوقية بينهم أو يؤلف بينهم حسب ما تقتضي به السياسة، فقد أبعده جريراً، لأنه ناصر الزبيريين، ودعا الشعراء إلى هجائه، وقرب الراعي النميري القيسي؛ لأن أم بشر كانت قيسية، وقر الفرزدق التميمي واتخذته نديماً" (1).

عندما أقدم سراقه البارقي على هجاء جرير وتفضيل الفرزدق عليه، استجابة وطلباً لمكافأة محمد بن عمير المجاشعي، الذي رصد أربعة آلاف درهم وفرساً، لمن يفضل من الشعراء الفرزدق على جرير، وجدنا بشر بن مروان يسارع في إرسال هذه الأبيات إلى جرير ويأمره أن يجيب عنها. ومن أبيات سراقه: [البحر الكامل]

أبلغ تيمماً غثها وسمينها ... والحكم يقصد مرة ويجور
ذهب الفرزدق بالفضائل كلها ... وابن المراغة مقعد محسور
إن الفرزدق برزت أعراقه ... عفواً وغودر في الغبار جرير
ما كنت أول محمر قعدت به ... مسعاته إن اللئيم عثور
هذا قضاء البارقي وإنه ... بالميل في ميزانكم لبصير

فرد عليه جرير: [البحر الكامل]

يا بشر حق لوجهك التبشير ... هلا غضبت لنا وأنت أمير
بشر أبو المروان إن عاسرته عسر وعند يساره ميسور
إن الكريمة ينصر الكرم ابنها ... وابن اللئيمة للئام عثور
قد كان حقك أن تقول لبارق ... يا آل بارق فيما سب جرير
يعطي النساء مهورهن كرامة ... ونساء بارق ما هن مهور
أكسحت باستك للفخار وبارق ... شيخانٍ أعمى مقعدٌ وكسير⁽²⁾

كان بشر بن مروان يفعل مع الشعراء كفعل أخيه عبد الملك، بالإغراء والتحريش بينهم، فقد اجتمع عنده "جرير والأخطل والفرزدق، فقال للأخطل: احكم بين الفرزدق وجرير، فقال: اعفني أيها

(1) أحمد، محمد عبدالقادر، دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982، ص54

(2) ينظر: أحمد، محمد عبدالقادر، دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، مرجع سابق، ص60 - ينظر: الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، 18/8

الأمير، قال: احكم بينهما! فاستعفاه بجهد فأبى إلا أن يقول، فقال: هذا حكم مشووم، ثم قال: الفرزدق ينحت من صخر وجريز يغرف من بحر، فلم يرض بذلك جريز وكان سبب الهجاء بينهما⁽¹⁾. ولم تكن يد بشر بن مروان الوحيدة في إلقاء الوقود، فهي سياسة عامة، وإن أبا عبيدة يذكر هذا الخبر: "كان سبب هجاء جريز لثغور أن لقمان الخزاعي قدم على صدقات الرباب، فكانت وجوه تحضر، فهم عمر بن لجأ فأنشده: البحر الطويل]

تأو بني ذكر لزولة كالخيل ... وما حيث تلقى بالكثير ولا السهل⁽²⁾
تخلُّ وركن من طمية دونها ... وجؤ قسى مما يحل به أهلي⁽³⁾

حتى فرغ منها، فقال لقمان: ما زلنا نسمع بالشام أنها كلمة جريز، فقال عمر: إني لأكذب شيخ في الأرض إن ادعت شعر جريز! قال: ثم أنشده على رؤوس الناس جميعاً والرباب حضوره، قال: فأبلغ لقمان جريراً قول عمر. ويضيف أبو عبيدة، بعد أن يروي نقد عمر لشعر جريز، فأبلغ لقمان جريراً قوله، وما عاب عليه شعر، فأحفظه حتى هجاه⁽⁴⁾ هكذا كان دأب السياسة في التحريش والإغراء بين الشعراء، فهذه سنة متبعة عند جميع خلفاء وأمراء الدولة الأموية.

لم يكن الأمويون يجهلون حقيقة هذا الهجاء وأثره في السياسة والمجتمع، حيث قال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال، وعنده جريز والفرزدق والأخطل، وهو يومئذ أمير: "ألا تخبرني عن هؤلاء الذين مزقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم، وأغروا بين عشائهم في غير خير ولا بر، أيهم أشعر"⁽⁵⁾. كانت المعارك التي بين قيس وكنب، قائدها قيس عمير بن الحباب القيسي، وكانت تغلب تعاون قيس وتنتقم من قتلى قيس في يوم المرج، لكن العلاقات بين قيس وتغلب فسدت لأسباب سياسية واقتصادية وقامت بينهما أيام شنيعة⁽⁶⁾، وكانت من الدوافع التي جعلت الأخطل يناقض جريراً، الأول

(1) الجمحي، محمد بن سلام بن عبدالله الجمحي، طبقات فحول الشعراء، الدرر اللبنانية المصرية للتوزيع، لبنان، 2002م، ص110

(2) زولة: اسم صاحبه.

(3) طمية: جبل في ديار بني أسد - جؤ: ما اطمأن من الأرض واتسع وبرز - قسا: قارة ببلاد بني تميم بها قبر ضبة بن أد.

(4) البصري، أبو عبيدة معمر بن مثنى التيمي، كتاب النقائض، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 487/1 - زراقت، عبدالمجيد، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، دار الباحث، بيروت، الطبعة الأولى، 1983، ص120

(5) الأصفهاني، الأغاني، مصدر سابق، 81/8

(6) ينظر: أبو عبيدة معمر بن مثنى، كتاب النقائض، مرجع سابق، 401/1

مع قومه تغلب والثاني مع قيس عيلان، لذلك نجد عبد الملك بن مروان يؤثر الأخطل ويفضله على سائر الشعراء، ويعدّه شاعر أمير المؤمنين لإشاداته بفضل أمية ولموقف قومه معهم على قيس عيلان⁽¹⁾. كانت السياسة الأموية سبباً في نشوء النقائض بين جرير والفرزدق، فقد كان جرير يقف في صف قيس عيلان الزبيرية، وكان الفرزدق يخاصم قيس عيلان في سبيل تميم ويعين الأخطل عليهما، وكلاهما يناقض جريراً⁽²⁾.

كان من تأثير السياسة الأموية أن بعض الشعراء يقف ضد قبيلته، فكان من الواجب "أن يقف الراعي النميري مع جرير على الفرزدق، ما دام جرير يدافع عن قيس عيلان قوم الراعي، لكن السياسة تدخلت في الأمر فألفت وقتاً بين الراعي النميري وبين الفرزدق، ذلك أن بشر بن مروان أمه قيسية، فعمل على أن يضم قيس عيلان إلى بني أمية، واستطاع أن يستميل إليه الراعي الذي تورط وأعان الفرزدق على جرير أول ما طلب إليه ذلك، فصرعه جرير بقصيدته البائية المشهورة: [البحر الوافر]

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبتُ لقد أصابا

فرد عليه الفرزدق: [البحر الوافر]

أنا ابن العاصمين بني تميم إذا ما أعظمُ الحدثانِ نابا"⁽³⁾

كان للحجاج الثقفي دور بارز في تأجيج هذا الصراع بين الشعراء والقبائل، إذ قال لجرير والفرزدق وهو في قصره في البصرة: "أنتيا في لباس آباءكمما في الجاهلية، فجاء الفرزدق وقد لبس الديباج والخز، وقعد في قبة، وشاور جرير دهاة قومه من بني يربوع، فقالوا: ما لبس آباؤنا إلا الحديد، فلبس جرير درعاً وتقلد سيفاً، وأخذ رمحاً، وركب فرساً، يقال له المنحاز، فأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع"⁽⁴⁾

لم يكن جميع خلفاء بني أمية يسعون في إذكاء نار العصبية والحقد بين القبائل فقد وجد من ينهى عن هذه العادات الجاهلية، ويعاقب عليها، منهم زياد ابن أبيه، والي معاوية على البصرة، فقد كان يحارب هذه النزعة، ويحذر الناس في خطبته البتراء من الانغماس فيها، فقال: "وإياي ودعوى الجاهلية فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه، وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة"⁽⁵⁾

(1) ينظر: الشايب، تاريخ النقائض، مرجع سابق، ص180

(2) ينظر: الشايب، المرجع السابق، ص181

(3) الشايب، تاريخ النقائض، المرجع السابق، ص181

(4) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، مرجع سابق، 406/1

(5) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، 358/1978،5.

و ينظر: أبو زيد، سامي، الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة، عمان، الطبعة الأولى، 2012م، ص145

ثانياً: العصبية الإقليمية

لقد عرف الجاهليون الهجاء العصبي على المستوى الشخصي الذي أخذه الهجاؤون الأمويون وأشعلوا ناره، لكنهم طوروا هذا النوع، وتجاوزوه إلى نوع جديد لم يعرفه أسلافهم الجاهليون، وهو "هجاء الإقليم، وهو يصور تعلق الناس بأوطانهم التي نزحوا إليها، وشعورهم برابطة جديدة تجمعهم على اختلاف قبائلهم، هي الإقليم، فالعربي الذي لم يعرف الاستقرار في الجاهلية، لم تكن تحركه إلا العصبية للأفراد من قبيلته، وقد بدأ يحس بشيء من العطف نحو الأرض التي يسكنها، واستقر فيها وتعلق بها"⁽¹⁾.

ومن أمثلة هذا النوع من الشعر، هجاء أعشى همدان لأهل العراق في نكوصهم عن الحرب، وفي تلونهم وإرصادهم الفتنة، يقول: [بحر الطويل]

أبي الله إلا أن يتمَّ نوره..... ويُطْفئ نارَ الفاسقين فَتَحْمُدا
ويظهر أهل الحق في كلِّ موطنٍ..... ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
ويُنزل ذلاً بالعراق وأهله.... لما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما أحدثوا من بدعةٍ وعظيمةٍ..... من القول لم تصعد إلى الله مصعدا⁽²⁾

وهذه قصيدة طويلة بلغت ستة وثلاثين بيتاً، تراوحت بين المديح والهجاء، فقد مدح الشاعر الحجاج، ومن حضر مجلسه، ومدح الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ثم مدح بعد ذلك بني أمية كلها⁽³⁾، والشاعر يهجو العراق كلها، وأنهم ينقضون العهد، ويحدثون البدع، ويجبنون عند اللقاء، وينكثون في البيعة، ولا يصدقون في القول.

والشاعر متأثر في ذلك بالحجاج الذي مدحه، عندما خطب على المنبر خطبة ولاية العراق، فقد وصف أهل العراق بأوصاف تشبه بما وصفهم بها الشاعر، يقول الحجاج: "إني والله يا أهل العراق، ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، ما يُقعقُع لي بالشنآن ... لأنكم طالماً أوضعتم في الفيتن، واضطجعتم في مراقد الضلال، وسننتم سنن الغي"⁽⁴⁾.

ويهجو الأعشى الهمداني البصرة أيضاً، ويفخر عليهم بيوم الجمل، حيث يقول: [بحر الرمل]

أكسع البصري إن لاقبته ... إنما يكسع من قلّ وذُلُّ
واجعل الكوفي في الخيل ولا ... تجعل البصري إلا في النفل

(1) ينظر: حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص 34 .

(2) الهمداني، الأعشى، ديوان أعشى همدان وأخباره، تحقيق: حسين عيسى أبو ياسين، دار العلوم للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م، ص 102، 103 .

(3) ينظر: حسين عيسى أبو ياسين ، مقدمة تحقيق ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 102، 103 .

(4) صفوت، أحمد زكي: جبهة خطب العرب في عصور العربية الزاهية، 288/2، المكتبة العلمية، بيروت، دت، 290/2.

وإذا فاخرتمونا فاذكروا ... ما فعلنا بكم يوم الجمل⁽¹⁾

الهجاء هنا ممزوج بالفخر، فيهجو الشاعر إقليم البصرة، ويعلي من شأن إقليم الكوفة، ويهجو البصريين، ولا يستثني منهم أحداً، فقد أطلق الجزء/ البصري، وأراد الكل/ أهل البصرة على سبيل المجاز المرسل، والشاعر في هجائه يمسح أهل البصرة جميعاً، وكسعه: ضرب دبره بيده، أو بصدر قدمه، وهي صورة مهينة فيها سخرية واستهزاء، وجعل الكوفي في الخيل أي يصلح للقتال، بينما جعل البصري في النفل، أي لا يصلح إلا لاقتسام الغنائم أو الأنفال، وبالتالي فقد هُزموا يوم موقعة الجمل. وتظهر عصبية الإقليم عند عدي بن الرقاع العاملي، في حرب مصعب بن الزبير بالعراق

حين زحف إليه عبد الملك بن مروان سنة 71هـ⁽²⁾، يقول: [بحر المتقارب]

لعمري لقد أصحرت خيلنا ... بأكناف دجلة للمصعب

إذا ما منافق أهل العراق ... عوتب ثمت لم يعتب

دلنا إليه بذئ تدر .. قليل التفقد للغيّب

يهزون كل طويل القناة ... ملتئم النصل والتعلب⁽³⁾

والقصيدة في الواقعة بين عبد الملك ومصعب بسوج مسكن بالعراق، وقتل مصعب بقرية مسكن، يقال لها الجاثليق⁽⁴⁾، ونشأ عدي بن الرقاع في دمشق، والشام موطن الخلافة الأموية، فكان هواه مع بني أمية؛ يمدح أحياءهم، ويرثي موتاهم، ويؤيد سياستهم، ويتحمس لهم⁽⁵⁾، من هنا تظهر عصبيةه للإقليم، فهو شامي، مؤيد لبني أمية، فهجا العراق جميعاً لوقوفهم في صف المعارضة ضد بني أمية، وتأيدهم مصعب بن الزبير، فرماهم بالنفاق، ويفخر في نهاية القصيدة بانتصار عبد الملك بن مروان، وليس انتصاراً على مصعب فحسب، بل هو انتصار على العراق جميعاً.

(1) الأبيات ليست في ديوانه، وهي في: السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1373 هـ - 1966 م، ص 4 .

(2) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصدر سابق، 151/6.

(3) العاملي، عدي بن الرقاع، ديوانه، تحقيق: حسين محمد نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م، ص 59، والطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، مصدر سابق، 151/6.

(4) ينظر: المسعودي، أبو الحسن بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1402هـ - 1982م، 116/3 .

(5) ينظر: حسين محمد نور الدين، مقدمة تحقيق ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ديوانه، مصدر سابق، ص 11.

وتظهر عصبية الشام، وعصبية العراق في شعر ابن جعيل يعارض علياً رضي الله عنه، وبتهمه
 بياوء قتلة عثمان، والإغضاء عنهم، يقول: [بحر المتقارب]
 أرى الشام تكره ملك العراق ... وأهل العراق لهم كارهونا
 وكل لصاحبه مبغض ... يرى كل ما كان من ذلك دينا
 وقالوا علي إمام لنا ... فقلنا رضينا ابن هند رضينا
 وقالوا نرى أن تدينوا لنا ... فقلنا لهم لا نرى أن نديننا⁽¹⁾

ويتضح لنا مما سبق أن العصبية في العصر الأموي، لم تتحصر في إقليم واحد، فانتشر شررها
 في الدولة كلها، حتى صارت مرضاً في المجتمع، نجمت عنه فتن وثورات، ومنازعات بخرسان وفارس
 والعراق والشام ومصر وإفريقية والأندلس⁽²⁾، وربما استفحال العصبية أذن بزوال دولة بني أمية، فكانت
 الوتر الذي عزف عليه بنو العباس، وقوضوا حكم بني أمية.

(1) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة،
 الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ م، ص 160، والمنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1365 هـ، ص 63.

(2) ينظر: الحوفي، محمد أحمد، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، د.ت، ص 464.

المبحث الثاني تأثر الهجاء السياسي بالبيئة الإسلامية

خطت الثقافة الأدبية خطوات فسيحة ومتلاحقة في العصر الأموي، وكان الأدباء يستمدون في أدبهم من معين العصر الجاهلي، ومنهم من تأثر بالعصبية القبلية، والنعرة العشائرية التي كانت العمود الفقري للحياة الجاهلية، لكن المسلمين كان لهم شقٌ آخر من الثقافة قد تفتحت آفاقه، وكثر رجاله، وساعد على نهوض الأدب، ولوّن الشعر السياسي ببعض ألوانه، ونعني بهذا الشق الثقافة الدينية، وقد عُني العلماء في هذا العصر بحفظ القرآن وتفسيره، واحتفوا بالحديث وروايته، وبدأوا يضعون أسس التشريع، واشتهر في كل مدينة كبيرة جماعة من الفقهاء والمفسرين والمحدثين، وكان هؤلاء الفقهاء كثيراً ما يجادل بعضهم بعضاً، وكثيراً ما يجادلهم تلاميذهم، ولم يتوقف الجدل عند الفقه، بل تعداه إلى علم الكلام، كان الجدل كثيراً ما يحدث بين المسلمين، وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى، ولم يكن الشعراء والخطباء والكتّاب في معزل عن هذا التفكير الفقهي، والعلوم الإسلامية، ولم يكونوا في عزلة عن الجدل العقلي الذي كان يشتد ويحتد بين الأشخاص بعضهم بعضاً، وبين الطوائف المختلفة، والفرق المتعددة⁽¹⁾.

وقد اتخذ هذا النوع الهجاء السياسي مظهرين، الأول كان موجهاً لهجاء الحكام، والثاني وجه الشعراء سهام نقدهم للولاة في الأقاليم، ويمكن دراسته على النحو الآتي:

أولاً: هجاء الحكام

إن الشاعر الأموي في هجائه السياسي الموجه إلى الحاكم، يبغي تقويم سياسته، والعودة به إلى الخلافة الراشدة التي يجد الناس فيها سواء، لا فضل بين عربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، ومن ثم نجد الشعراء، ينطلقون في هجائهم من روح إسلامية، متأثرين بالقران والسنة النبوية، والقدوة الحسنة من الصالحين والملتزمين.

نلاحظ تأثر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بالمثل الإسلامية في شعره، حين قتل مصعب بن الزبير زوجة المختار بن عبيد الثقفي، وهي بنت النعمان بن بشير، وهو لا يوجه هجاءه إلى مصعب بقدر التوجه بالهجاء إلى أخيه عبد الله بن الزبير الذي يبيع بالخلافة في الحجاز، يقول الشاعر: [بحر الطويل]

أتى راكبٌ بالأمر ذي النبأ العجب ... بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب

بقتل فتاة ذات دل ستيرة ... مهذبة الأخلاق والحيم والنسب

مطهرة من نسل قرم مطهر ... من المؤثرين الخير في سالف الحقب

خليل النبي المصطفى ونصيره ... وصاحبه في الحرب والنكب والكرب

أتاني بأن الملحدين توافقوا ... على قتلها لا جنبوا القتل والسلب

فلا هنأت آل الزبير معيشة ... وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 276-279.

كأنهم إذ أبرزوها وقطعت ... بأسياهم فازوا بمملكة العرب
 ألم يعجب الأقوام من قتل حرة ... من الإخصانات الدين محمودة الأدب
 من الغافلات المؤمنات برينة ... من الذم والبهتان والشك والكذب⁽¹⁾

لا يعير الشاعر مصعباً منطلقاً من روح جاهلية أو عصبية قبلية، لكنه يعيره بخروجه على تعاليم الدين الحنيف، وحاججه في شعره بأنه أباح دم مسلمة، لا يحل له قتلها، مذكرة بصنيع أهلها في الإسلام، وسابقتهم إلى نصرته النبي صلى الله عليه وسلم⁽²⁾، والشاعر متأثر بالروح الإسلامية، ومتأثر بالقرآن وألفاظه إشارة إلى قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}⁽³⁾، وقوله تعالى: {وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ الْجُنْبِ}⁽⁴⁾، وقوله تعالى {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ}⁽⁵⁾.

وصبَّ بعض شعراء الهجاء السياسي جام غضبهم على نظام الحكم، وقد هاجم هؤلاء النفر من الشعراء معاوية رضي الله عنه، عندما أخذ البيعة لابنه يزيد، فنرى عبد الله بن همام السلولي لا يرضى على نظام الوراثة الذي استحدثه أول خليفة أموي، فرأى أن الأمر يجافي تعاليم الإسلام، وأن الخلافة صارت كسراوية، وليست إسلامية، يقول: لبحر الوافر]

إن أتوا برملة أو بمند ... نبايعها أميرة مؤمنينا

إذا ما مات كسرى قام كسرى ... نعدُّ ثلاثة مُتتابعينا

خشينا الغيظ حتى لو سقينا ... دماء بني أمية ما شفيننا⁽⁶⁾

وقد يصب الشاعر غضبه على أشخاص الحكام، ونقد سياستهم، واتهامهم بمجافاة الدين، والخروج على الشرع، وقد كان - كما يقال - في عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بخل، مما جعل الشعراء يستغلون هذه الخصلة فيه، فيوجهون إليه سهام هجاءهم، ومنهم من ينتقد سياسته على شاكلة أبي الطفيل عامر بن وائلة، ويؤيد ابني عباس رضي الله عنهما، وهما عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس في دعوتهما للعلويين، ويهجو ابن الزبير لتضييقه عليهما، ومنع الناس من لقاءهما والجلوس إليهما لبحر البسيط]

(1) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، مصدر سابق، 6/119.

(2) ينظر: حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص 43.

(3) النور: 23.

(4) النساء: 36.

(5) النحل: 112.

(6) المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، اعتنى بنشره: كليمان فوار، الناشر: أرنت لزو الصحاف - باريس، ما بين 1899 - 1919 م، 8/6، والمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب، المطبعة البهية، مصر، 1346هـ، 70/2.

لا درّ درّ الليالي كيف تضحكننا ... منها أحاديث أيام وتبكيننا
ومثل ما تحدث الأيام من غيرٍ ... وابن الزبير عن الدنيا يلهينا
كنا نجيء ابن عباس فيقبسنا ... علماً ويكسبنا خيراً ويهدينا
لا يزال عبيد الله مترعة ... جفانه مطعماً ضيفاً ومسكيناً
فأصبح الدين والدنيا بدارهما ... ننال من ذلك ما شينا إذا شينا
ولست فاعلمه بالأولى به نسباً ... يا ابن الزبير ومن أولى به ديننا
لن يعطي الله من أخزى يبغضهم ... في الدين عزّاً ولا في الأرض تمكيناً⁽¹⁾

يبدو أبو الطفيل تفيض عاطفته حباً لآل البيت، وهنا يقف في صف ابني العباس رضي الله عنهم، ويبرهن على وقوفه معهم بقرايتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحتج أيضاً بعلم ابن عباس، وبكرم أخيه، فابن عباس يتفوق على ابن الزبير في العلم، وعبيد الله يتفوق عليه في الكرم، وهنا يرجح كفتيهما، ويضيف إليهما مثالية الدين التي تعمقت في نفوس صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إننا نجد في هذا الصدد الشعراء، يوجهون سهامهم إلى الحكام والولاة والقادة، ولعل ذلك راجع إلى مساحة من الحرية، سمح بها الحكام، ومهما يكن من عسف بعضهم، وتعقبهم للثوار والداعين إلى الثورة، أو الناقدين للخلفاء والولاة، فقد كان كثير من الشعراء يستطيعون الجهر بما نفوسهم من سخط، ومن تحريض على الحكام.

وقد يجهر بعض الشعراء بما يجيش في نفوسهم من تنديد وسخط وهجاء، فيحلم عليهم بعض الخلفاء، ليطفئوا نار غضبهم، ولعل هذا الحلم يرددهم عن البغضاء، وأغلب الظن أن معاوية رضي الله عنه هو الذي استنّ هذه السنة، وتأثر بها من بعده⁽²⁾، فقد أخذ معاوية نفسه بسياسة استنها، تتجلى في قوله: "لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت"⁽³⁾.

ودخل أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، فقال له: يا أمير المؤمنين إن عتبة الأسدي قال فيك:

بحر الوافرا

(1) البغدادي، عبد القادر، خزنة الأدب، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1930، 4/ 30، ومؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطليبي، ار الطليعة، بيروت، دت، ص 97، 98.

(2) ينظر: الحوفي، محمد أحمد، أدب السياسة في العصر الأموي، مرجع سابق، ص 281.

(3) الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1359هـ - 1940م، 10/1.

معاوي إنا بشر فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديد
 أكلتم أرضنا فجزتموها ... فهل من قائم أو من حصيد
 أتطمع في الخلود إذا هلكنا ... وليس لنا ولا لك من خلود؟⁽¹⁾
 ثم قال أبو بردة: ما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تبعث إليه من يضرب عنقه؟
 قال معاوية: أفلا خير من ذلك؟
 قال أبو بردة: ما هو يا أمير المؤمنين؟
 قال معاوية: نجتمع أنا وأنت ونرفع أيدينا إلى السماء وندعو عليه⁽²⁾.

كذلك عفا عبد الملك بن مروان عن عبد الله بن قيس الرقيّات شاعر الزبيريين، وشريك مصعب بن الزبير في حربه لعبد الملك، وعفا أيضاً عن الكميت شاعر آل البيت، وشاعر الشيعة بعد أن أهدر دمه⁽³⁾، وعفا يزيد بن عبد الملك عن الأحوص، وردّه من منفاه، ومنحه حللاً سنّية، وقربه منه، وقال له: لو تمّت إلينا بحق ولا صهر ولا رحم إلا قولك: [بحر الطويل]
 وإني لأستحييكم إذ يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمع
 لكفالك ذلك عندنا⁽⁴⁾.

ولم يتوقف أمر العفو عن الشعراء الهاجين عند الخلفاء، بل تعداه إلى الولاة، فقد عفا الحجّاج عن العُدّيل بن الفرخ، وتناسى هجاءه، واستهانت به بوعيده، وعفا عبّيد الله بن زياد عن ابن مُضَرَّغ، وصفح عنه رغم هجائه الكثير المقذع الذي رماه به⁽⁵⁾.
 وإن كان الخلفاء أوقدوا نار الهجاء بين الشعراء، واندلعت ألسنتهم بهجاء ينطلق من عصبية قبلية، ومن وراء ذلك دوافع سياسية، فإن عفوهم عنّ يهجوهم وراءه دوافع سياسية أيضاً، فإن شعراء الأحزاب السياسية، إما معارضون لا يخشون مغبة القول، فالذي يشهر سيفه، لا يخاف من هجائه الخلفاء، وإما مؤيدون فهذا النضر من الشعراء في مأمن، فعمو الخلفاء عن الشعراء الهاجين المعارضين، استمالة لهم وتحييد لخطرهم، مما يجعلهم يكفون عن هجاء الخلفاء، والتحريض عليهم.

¹ - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دت، 99/1، والأبيات منسوبة لعبد الله ابن الزبير الأسدي، ينظر: الأسدي، عبد الله ابن الزبير، ديوانه، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1394هـ - 1974م، ص145.

(2) ينظر: الحوفي، محمد أحمد، أدب السياسة في العصر الأموي، ص283.

(3) ينظر: الحوفي، محمد أحمد، أدب السياسة في العصر الأموي، مرجع سابق، ص284.

(4) ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م، 57/8.

(5) ينظر: الحوفي، محمد أحمد، أدب السياسة في العصر الأموي، مرجع سابق، ص284.

ثانياً: هجاء الولاية

وهذا الهجاء سياسي لا يتصل بأصول الحكم، ولا ينزع إلى الأصول الحزبية، "لكنه يتصل بالولاية والأقاليم، يعارض سياستهم، وينتقد تصرفاتهم، وهذا اللوم من الهجاء السياسي مختلط بالهجاء الاجتماعي، وهو من أمتع ألوان الشعر السياسي، وأكثرها دقة ووضوحاً في الكشف عن معاييب المجتمع الذي تعقدت فيه الحياة، وتعارضت فيه الآراء، وهو لا يصور معارضة حزبية، ولكنه يصور سخطاً على النظم الاجتماعية القائمة"⁽¹⁾.

والنماذج كثيرة من هذا اللون، نذكر منها الشعر الذي يصور سخط الناس؛ لتأثر الولاية بالعصبية والقرابة في اختيار العمال، على شاكلة قول الحارث بن خالد المخزومي، يهجو عبد العزيز أخا خالد بن عبد الله المخزومي، وقد ولاه قتال الخوارج فانهزم: [بحر الخفيف]

فرَّ عبد العزيز لما رأى الأبطال بالسفح نازلوا قطرياً
عاهد الله إن نجا لمُنانيا ... ليعودن بعدها حرمياً
يسكن الخل والصفاح فمرا ... ن وسلعاً وتارة نجدياً
حيث لا يشهد القتال ولا يسمع يوماً لكر خيل دويلاً⁽²⁾

ولّى عبد الملك بن مروان خالد بن عبيد الله الأسدي البصرة، وقد ولّى خالد أخاه عبد العزيز قتال الخوارج فانهزم، وهنا يندد الشاعر تقريب القرابة ومباعدة الدين، وهو ينطلق في شعره من مبدأ إسلامي، فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم توسيد الأمر إلى غير أهله، ويصف الشاعر عبد العزيز بالجبين، ويسخر منه، فإن نجا من المنايا، سوف يسكن الأماكن البعيدة عن الحرب الواردة في البيت الثالث، وبل إنه يصبح (حرمياً)، أي يلوذ بالحرم ويعتصم به خوفاً وجبناً.

ومن نماذج هذا الهجاء السياسي، شعر عبد الله بن همام السلولي، يهاجم النعمان بن بشير والي الكوفة، وكان معاوية قد أمر لأهلها بزيادة عشرة دنانير في أعطياتهم، فحبسها النعمان عنهم ولم ينفذها؛ لسابق إخلاصهم لعلي، يقول: [الطول]

زيادتنا نعمان لا تحسبنا ... خف الله فينا والكتاب الذي تتلو
فإنك قد حملت منا أمانة ... بما عجزت عنه الصلّاحة البزل
فلا يك باب الشر تحسن فتحه ... وباب الندى والخيرات له قفل
وقد نلت سلطاناً عظيماً فلا يكن ... لغيرك جمات الندى ولك البخل
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه ... فما باله عند الزيادة لا يحلو
فيا معشر الأنصار إني أخوكم ... وإني لمعروف أني منكم أهل

(1) ينظر: حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص 43.

(2) المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، المكتبة التجارية، القاهرة، 1355هـ، 217/2.

ومن أجل إيواء النبيّ ونصره ... يجكم قلبي وغيركم الأصل (1)

وتتجلى في الأبيات القيم الإسلامية، فالشاعر يذكّر الوالي بالخوف من الله في الرعية، وكذلك يستعطفه بالقرآن الذي يتلوه، وأن الرعية أمانة في عنقه، والأمانة ثقيلة، تنوء عن حملها البزل أي العير الصلاخمة أي الشديدة، ويدعوه أن يكون مفتاحاً للعطاء، مغلاً للشّر، ويذكره بأنصاريته، وإيواء الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم، لكنّ النعمان رضي الله عنه يرفض إنفاذ الأمر، ومهما يكن من أمر، فإن القصيدة أتت ثمارها، فالخليفة معاوية رضي الله عنه، أمر بجائزة للشاعر، فلما وصلته الجائزة قال قصيدة، نذكر منها قوله يشكر الخليفة فيها: [بحر الطويل]

أَتَانِي كِتَابُ اللَّهِ وَالِدَيْنِ قَائِمٌ ... وَبِالشَّامِ أَنْ لَا فِيهِ حُكْمٌ وَلَا عَدْلٌ

أُرِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ ... عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ الزَّمَانِ لَهُ الْفَضْلُ

فَهَاتِيكُمْ الْأَنْصَارُ يَرْجُونَ فَضْلَهُ ... وَهَلَاكَ أَعْرَابٍ أَضْرَّ بِهَا الْمَخْلُ (2)

وهجاء السلولي النعمان رضي الله عنه أشبه بالشكوى، وهو لا ينطلق من مصلحة شخصية، بل هو يحمل هموم ذوي الحاجة والمعوزين، ولا ينسى وهو يشكر الخليفة على جائزته أن يذكره بأن هناك أعراباً، أوشكوا على الهلاك، وأصابهم الضر، وعضهم الفقر، ومن ثمّ فإن هذا النوع من الهجاء السياسي، فهو رسالة اجتماعية، وحركة إصلاحية؛ تأخذ على أيدي الولاة والعمال على البلاد، حتى لا يحدوا عن الجادة، ولا يتكبوا الطريق، فالشعراء يبعثون الإصلاح ما استطاعوا له سبيلاً.

(1) نوري حمودي القيسي، عبد الله بن همام السلولي حياته وما تبقى من شعره، مجلة العرب، مج3، ع34، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1408هـ - 1988م، ص206، الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م، 31/16.

(2) نوري حمودي القيسي، عبد الله بن همام السلولي حياته وما تبقى من شعره، ص 207.

الخاتمة:

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج هي:

- 1- كان للأعراب دور في العودة إلى العصبية الجاهلية.
- 2- أدّى كثير من حكام بني أمية وولاتهم دوراً بارزاً في إشعال نار العصبية الجاهلية، مما أثر في ظهور الهجاء السياسي.
- 3- ساعد تحريش الحكام بين الشعراء إلى ازدهار الهجاء السياسي وتطوره.
- 4- كثرة الحروب والثورات أدّت إلى ظهور التعصب للأقاليم في الشعر السياسي.
- 5- هجاء الشعراء للحكام الولاة نتيجة لمساحة الحرية التي منحوها للشعراء.
- 6- تأثر الشعراء في هجائهم للحكام والولاة بالروح الإسلامية في شعرهم.
- 7- عمل الهجاء السياسي على نقد السياسة، وفضح المفاسد.
- 8- مثل هجاء الولاة والعمال رسالة اجتماعية، وحركة إصلاحية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- الأسدي، عبد الله ابن الزبير، ديوانه، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1394هـ - 1974م.
- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: عبدالستار أحمد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م.
- الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1359هـ - 1940م.
- البصري، أبو عبيدة معمر بن مثنى التيمي، كتاب النقائض، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1930م.
- الجمحي، محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي، طبقات فحول الشعراء، الدرار اللبنانية المصرية للتوزيع، لبنان، 2002م.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1960 م.
- السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1373 هـ - 1966 م.
- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1978م.
- العاملي، عدي بن الرقاع، ديوانه، تحقيق: حسين محمد نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، ار الطليعة، بيروت، د.ت.
- المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، المكتبة التجارية، القاهرة، 1355هـ.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1402هـ- 1982م، والمطبعة البهية، مصر، 1346هـ.
- المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، اعتنى بنشره: كلّمان هُوّار، الناشر: أرنست لرُو الصَحّاف - باريس، ما بين 1899 - 1919 م.
- المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1365هـ.
- نوري حمودي القيسي، عبد الله بن همام السلولي حياته وما تبقى من شعره، مجلة العرب، مج23، ع34، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1408هـ- 1988م.
- الهمداني، الأعشى، ديوان أعشى همدان وأخباره، تحقيق: حسين عيسى أبو ياسين، دار العلوم للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ- 1983م .

ثانياً المراجع

- أبو زيد، سامي، الأدب الإسلامي والأموي، دار المسيرة، عمّان، الطبعة الأولى، 2012م .
- أحمد، محمد عبدالقادر، دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م.
- جمعة، محمد إبراهيم، نوايغ الفكر العربي (جدير)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1995م.
- حسين عيسى أبو ياسين، مقدمة تحقيق ديوان أعشى همدان وأخباره، دار العلوم للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ- 1983م .
- حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، دت.
- حسين محمد نور الدين، مقدمة تحقيق ديوان عدي بن الرقاع العاملي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ- 1990م.
- الحوفي، محمد أحمد، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، دت.
- زراقت، عبدالمجيد، الشعر الأموي بين الفن والسلطان، دار الباحث، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.
- الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1954م.
- الشايب، أحمد، الشعر السياسي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1978م.
- صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهية، 2/288، المكتبة العلمية، بيروت، دت.
- الصلابي، علي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار اليقين، مصر، 2006م.
- ضيف، شوقي، التطوير والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1997م.
- النص، إحسان، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار الفكر، القاهرة، 1973م.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية شهرية علمية محكمة

التقييم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X

التقييم الدولي الورقي: ISSN:2410- 1818

البريد الإلكتروني: journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2025	2024	2023	2022	2021	العام
0.5978	0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	معامل أرسيف
1.59	1.55	1.25	1.73	1.60	معامل التأثير العربي